مجلة مقامات
EISSN 2253-0363: / ISSN : ISSN2543-3857
المجلد .. / العـدد: .. (2018)، ص ..-..

نظرية دي سوسير اللغوية: حقيقتها وصلتها بالنّحو العربي

De Saussure's linguistic theory: Its truth and its connection to Arabic grammar

د. صلاح بن عبدالله بن عبدالعزيز بوجليع
Dr. Salah bin Abdullah bin Abdulaziz Buglea
أستاذ النَّحو والصَّرف المشارك بجامعة الملك فيصل بالأحساء، السعودية
Salahj1390@hotmail.com

المؤلف المرسل(باللغتين): الاسم الكامل : د. صلاح بن عبدالله بن عبدالعزيز بوجليع
Dr. Salah bin Abdullah bin Abdulaziz Buglea الإيميل: Salahj1390@hotmail.com

تاريخ الاستلام: اليوم /الشهر/السنة تاريخ القبول: اليوم /الشهر/السنة

ملخص:

يعدّ دي سوسير مؤسس المنهج البنيوي (اللسانية)، الذي انطلق منه علم اللغة المعاصر، وفكرة البنيوية عنده تتلخص في نظرته إلى اللغة بوصفها نظامًا أو هيكلًا مستقلًا عن صانعه، أو الظروف الخارجية التي تحيط به، وينظر إلى هذا الهيكل من داخله من خلال مجموعة وحداته المكونة له بوصفها تُمَثّل كلًّا قائمًا بذاته، لذا سُمّي هذا المنهج بنظرية دي سوسير اللغوية، واشتهرت في اللسانيات بالمنهج الوصفي. يجيب هذا البحث عن سؤالين: ما حقيقة هذه النّظرية؟ وما صلتها بالنّحو العربي؟ من خلال مبحثين: حقيقة نظرية دي سوسير اللّغوية، وصلة نظرية دي سوسير بالنّحو العربي. توصل البحث إلى عدة نتائج أهمها أنّ التطور الفكري والمنهجي في نظرية دي سوسير وأهميتها بالنسبة للدراسات اللغوية الغربية، تكمن في التغييرات التي اقترحها دي سوسير، وطبقها في دراسته اللغوية، وأهم هذه التغييرات: نظرته الوصفية للغة حين عدّ اللغة المنطوقة هي مجال الوصف، ورؤيته للغة من خلال الثنائيات التي صنّفها، وهي ثنائيات: اللغة والكلام، والدال والمدلول، والآنيّة والزمانية، واللسان والكلام.

كلمات مفتاحية: سوسير، اللسانيات، علم اللغة، اللغة والكلام، الدال والمدلول.

Abstract:

De Saussure is considered the founder of the structural approach (linguistics), from which contemporary linguistics was launched, and the idea of structuralism for him is summarized in his view of language as a system or structure independent of its maker, or the external conditions that surround it, and looks at this structure from within through a group of its units Its constituents as representing a self-contained whole, so this approach was called de Saussure's

linguistic theory, and it became famous in linguistics as the descriptive approach. This research answers two questions: What is the truth of this theory? What is its connection to Arabic grammar? Through two topics: the truth of de Saussure's linguistic theory, and the connection of de Saussure's theory to Arabic grammar. The research reached several results, the most important of which is that the intellectual and methodological development in de Saussure's theory and its importance for Western linguistic studies lies in the changes proposed by de Saussure, and applied in his linguistic study, and the most important of these changes: his descriptive view of language when he counted spoken language as the domain of description, and his view of language Through the binaries that he classified, which are binaries: language and speech, the signifier and the signified, the immediate and the temporal, and the tongue and speech.
Keywords: Saussure, Linguistics, Linguistics, Language and Speech, Signifier and Semantics.

مقدمة:

يعدّ دي سوسير مؤسس المنهج البنيوي (اللسانية)، الذي انطلق منه علم اللغة المعاصر، وذلك في بدايات القرن العشرين الميلادي، وفكرة البنيوية عنده تتلخص في نظرته إلى اللغة بوصفها نظامًا أو هيكلًا مستقلًا عن صانعه، أو الظروف الخارجية التي تحيط به، وينظر إلى هذا الهيكل من داخله من خلال مجموعة وحداته المكونة له، بوصفها تُمَثّل كلًّا قائمًا بذاته، لذا سُمّي هذا المنهج بنظرية دي سوسير اللغوية، واشتهرت في اللسانيات بالمنهج الوصفي؛ إذ النّظرية تقوم على هذا الأساس.

ولقد سيطرت أفكار هذه النّظرية على البحث اللغوي في أربعينيات القرن الماضي سيطرة بالغة، وزحزحت المناهج اللغوية من مواقعها، وانتقل تأثيرها من الدّرس اللّغوي الغربي إلى العربي.

فما حقيقة هذه النّظرية؟ وما صلتها بالنّحو العربي؟

في هذا البحث أجيب عن هذين السؤالين بالتفصيل من خلال مبحثين: **حقيقة نظرية دي سوسير اللّغوية، وصلة نظرية دي سوسير بالنّحو العربي.**

المبحث الأول: حقيقة نظرية دي سوسير اللّغوية

يمثل دي سوسير (1857-1913م) بداية عصر اللسانيات الأوروبية المعاصرة، فهو مؤسس علم اللغة الحديث دون نزاع، وهو صاحب فكرة المنهج الوصفي، وهي نظريته المشهورة.

بدأ دي سوسير وهو سويسري من مدينة جنيف دراساته في فقه اللغة الرومانية بمدينة لايبزيغ (Leipzig)، وكان على تواصل مع علماء النّحو الجدد، وبسبب تأثره بنظريّاتهم تناول في كتابه الشهير "النّظام الأولي للصوائت في اللغات الهندو أوروبية" دراسة الصوتيات التاريخية (1878)، وأوضح أنّ اللغة السنسكريتية ليست هي اللغة الأم لكل اللغات، ولكنّها لغة ابنة.

مجلة مقامات
EISSN 2253–0363: / ISSN : ISSN2543-3857
المجلد .. / العـدد: .. (2018)، ص ..-..

وبعد أن انتهى من رسالته، قام ميشيل بريال (Michel Breal) مكتشف علم الدلالة، بدعوته للتدريس في معهد الدراسات العليا بباريس، ثم عاد بعد ذلك بعشر سنوات إلى جنيف، وعقب عدة سنوات من التوقف عن تدريس النحو المقارن، بدأ في تدريس محاضرات في اللسانيات العامة لمدة ثلاث سنوات بين العام 1906 والعام 1911م، ومات دون أن يقوم بنشر ما قام بتدريسه، فتولى طلابه هذه المهمة وهم شارل بالي (Charles Bally)، وألبير سيشاي (Albert Sechehaye)، حيث قاما بطباعة كتابه "دروس في اللسانيات العامة" (Cours de linguistique generale) من خلال تدويناته الشخصية.

ومن أهم كتبه المطبوعة في اللسانيّات:

- **محاضرات في علم اللغة العام**: ترجمة عبد القادر فهمي، ومراجعة أحمد حبيبي.
- **فصول في علم اللغة العام:** ترجمة: أحمد نعيم الكراعين.
- **علم اللغة العام**: ترجمة بونيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي: مالك يوسف المطلبي.

المطلب الثاني: مفهوم النّظرية، ونشأتها[1]

اشتهرت نظرية دي سوسير اللغوية في علم اللسانيات بالمنهج الوصفي، فهو صاحب هذه الفكرة، ومؤسسها، وهذا المنهج هو المقصود بنظرية دي سوسير اللّغوية.

يقوم المنهج الوصفي على "تسجيل الواقع اللغوي كما هو، بدون التورط في مسائل الصواب والخطأ، وهو المنهج الذي يعمد إلى اللغة فيتخذها مادة للملاحظة والاستقراء والوصف، ويجعل ما وقع عليه من الاستقراء قواعد، ولا ينظر إليها باعتبارها معايير يجب اتباعها، وإنما تفهم باعتبارها تعبيرات عن الوظائف اللغوية التي تؤديها الوحدات اللغوية التي وقع عليها الاستقراء، سواء أكانت هذه الوحدات صوتية، أم صرفية، أم نحوية، أم معجمية، ويصف هذا المنهج طرق الاستعمال اللغوي في مرحلة خاصة من مراحل تاريخ اللغة المدروسة"[2].

"فالنحو الوصفي لا يشغل نفسه بأمور التربية، ولا بأن يبين القواعد لمعلم اللغة؛ لأنّه حيث توجد السليقة لا توجد الأخطاء، ولا ما يوصف من الاستعمال بالجودة أو بالرداءة"[3].

نال هذا المنهج شهرة كبيرة؛ وذلك لأنّه في نظر الكثير من الباحثين منهج البحث العلمي الموضوعي، يصلح أن يتخذ أداة ناجحة في التعليم، خليق أن يحافظ على اللغة، ويرعى سلامتها، وينظر إليها على أنّها ظاهرة متطورة[4].

ويؤكد العلماء أنّ دي سوسير لم يكن منكرًا لقيمة الدراسة التّاريخية، ولكنّه رأى أنّ الدراسة التاريخية للظواهر اللغوية يجب أن تأتي تابعة لدراسة اللغة كنظام مستقل بفترة زمنية معينة، وجماعة بشرية معينة[5]، فمعرفة النظام يجب أن تسبق معرفة التغيرات التي تطرأ عليه[6].

ولم يجد دي سوسير ما يبحث عنه إلا حين اتّصل بما قدمه معاصره عالم الاجتماع: إميل دور كايم (Emile Durkheim)، فعلى ضوء آرائه في بحث الظواهر الاجتماعية، قدّم دي سوسير نظريته في بحث الظواهر اللغوية.

ولقد كان لكايم تأثيره البالغ على فكر دي سوسير، ولعله كان السبب في تحويل الدرس اللغوي إلى الاتجاه العلمي، ذلك أنّ اعتبار اللغة شيئًا عامًّا، هو الذي يسر السبيل إلى تطبيق قوانين العلم في دراسة الظواهر اللغوية[7].

المطلب الثالث: تقسيم الظاهرة اللغوية لدى دي سوسير[8]

يقسم دي سوسير الظاهرة اللغوية إلى ثلاثة مكونات:

- **اللغة (Langage).**
- **اللسان (Langue).**
- **الكلام (Parole).**

فاللغة بمعناها العام ظاهرة طبيعية تميّز الإنسان عن غيره من الكائنات، وتجعله قادرًا على التّعامل مع بني جنسه في المجتمع، عن طريق نسق من الإشارات الصوتية.

وهي أيضًا ظاهرة شمولية، بمعنى أنّها توجد عند الأفراد في كل زمان ومكان، بصرف النّظر عن الاختلاف العرقي أو الاعتبارات الحضارية الخاصة.

وتخرج اللغة بهذا المعنى عن نطاق التقعيد أو الضبط، وتشكل هذه الظاهرة نوعًا من الاستعداد عند الإنسان لاستعمال نسق صوتي ذي طبيعة خاصة داخل المجتمع.

وتظهر آثار اللغة بهذا المعنى، وتتبلور في نطاق المستوى الثاني من الظاهرة اللغوية، وهو اللسان.

فما اللسان؟ وما علاقته باللغة؟

يرى دي سوسير أنّ اللسان يختلف عن اللغة، فاللسان ليس سوى جزء محدّد من اللغة، كظاهرة عامة، إنّه مجموعة من الاصطلاحات اللازمة يكيّفها المجتمع؛ ليسمح للأفراد المتكلمين بممارسة هذه الملكة.

إنّ نظرة إلى اللغة في كلّيتها، تبين أنّها متعددة الأشكال، وغير متجانسة، وتنتمي إلى المجال الجماعي، وتتعلّق بالجانب الفردي، وهي غير قابلة لأن تصنّف في أي نوع من الوقائع البشرية، لأننا لا نستطيع الكشف عن وحدتها. أما اللسان فهو شيء منتظم، له قواعده في مختلف المستويات (الصوتية/ والتركيبية/ والدلالية)، واللسان وحدة يتمتع بخاصية قابلية أن يكون موضوعًا.

وبالإضافة إلى التّمييز بين اللغة واللسان، ميّز دي سوسير بين اللسان والكلام[9]، وهو التّمييز الذي يكتسي أهمية منهجية قصوى، لأنّه سمح بتحديد موضوع اللسانيات تحديدًا دقيقًا، فاللسان نسق لغوي قائم بذاته، وخاصّ بكل مجتمع على حدة، نقول "اللسان العربي" و"اللسان الفرنسي"، واللسان في

مجلة مقامات
EISSN 2253–0363: / ISSN : ISSN2543-3857
المجلد .. / العدد: .. (2018)، ص ..-..

نظر دي سوسير ليس من وظائف الفرد المتكلم، بل هو أثر يسجله بكيفية سلبية، فيتعلم الفرد لسان مجتمعه بطريقة سلبية، ثم يتكلّمه دون أن يكون له دخل في اختياره، فهو يُفرض عليه اجتماعيًّا، فيتلقّاه دون تدخل كبير أو جهد يذكر.

وبخلاف اللسان، فإنّ الكلام نشاط لغوي فردي، يتمثل في تنفيذ قواعد نسق لسان معين، فالكلام قائم على إرادة الفرد المتكلم، ومرتبط بذكائه؛ لأنّه يقوم بتركيبات وتوليفات يستخدمها وفق ما يوفره له اللسان من إمكانات التعبير عن الأفكار.

فدي سوسير يميّز بين هذه المصطلحات الثلاثة، فمصطلح (اللغة) لا يمثل واقعة اجتماعية خالصة؛ لأنّه يضم إلى الجوانب الاجتماعية جوانب فردية، ومصطلح (الكلام) ليس واقعة اجتماعية، فهو فردي قائم على عنصر الاختيار، وعنصر الاختيار لا يمكن التنبؤ به، فلا يخضع للدراسة العلمية، فالذي يمكن أن يطلق عليه واقعة اجتماعية، هو ما أسماه بـ(اللسان) أو باللغة المعيّنة؛ لأنّها عامة داخل المجتمع، وهي تمارس (فرضًا) على المتكلمين الأفراد، وهي لا توجد عند كل فرد بصورة كاملة، وهي التي يمكن دراستها دراسة علمية.

المطلب الرابع: الفكر اللغويّ الجديد في نظرية دي سوسير

توصل دي سوسير إلى أربعة كشوف مهمة تتضمّن[10]:

• أولًا: مبدأ ثنائية العلاقات اللفظية:

أي: التفرقة بين الدال والمدلول[11].

فالكلمة عنده.. هي إشارة، وليست اسمًا لمسمّى، بل هي كل مركب يربط الصورة السمعية والمفهوم، وهو يقصد بذلك "الدال"، وهو الصورة السمعية، وأما "المدلول" فهو المفهوم[12].

• ثانيًا: مبدأ أولوية النّسق أو النّظام على العناصر[13]:

وهو أولوية النسق أو النظام على العناصر فهو يشير بذلك إلى أنّ اللغة نظام، ويريد بنية هذا النّظام، وذلك لكونه مؤلف من وحدات لها تأثير متبادل على بعضها[14].

فهو يدعو إلى تحليل البنية (النظام)، وكشف عناصرها كالرموز والصور؛ لمعرفة ملابسات بنيتها من الداخل والخارج، فيريد البحث عن مجموعة العناصر وعلاقتها المتشابكة داخل هذا النّظام.

• ثالثًا: مبدأ التفريق بين اللغة والكلام[15]:

إن اللغة مجموعة القواعد والوسائل التي يتم التعرف اللغوي طبقًا لها، أما الكلام فهو الطريقة التي تتجسد من خلالها تلك القواعد والوسائل في موقف بعينه، ولوظيفة بعينها[16].

• رابعًا: مبدأ التفرقة بين التزامن والتعاقب[17]:

يرى دي سوسير أنّه من الممكن أن تكون دراسة نسق اللغة؛ إمّا تزامنية، أو تعاقبية، ويُعرّف هذين المصطلحين بقوله: "يمكن أن نصف كل شيء يرتبط بالجانب السكوني من عملنا بأنّه تزامني، في حين يمكن أن نصف كل شيء له علاقة بالتطور بأنّه تعاقبي"[18].

فالتزامنية تختص بوصف حالة اللغة، في حين أنّ التعاقبية تختص بوصف المرحلة التطورية للغة.

ولعل من إسهامات دي سوسير المهمة أنّه بيّن ثلاثة مستويات للغة[19]: **اللغة كنظام، واللغة كصياغة، واللغة كمنطق.**

ويمكن تلخيص أهم أفكار دي سوسير اللغوية في ثلاثة أفكار، وهي:

1- حلل دي سوسير الرمز إلى مكونيه الدال والمدلول[20]، والدالّ هو الجانب الصوتي المادي من الرمز، وأما المدلول فهو الجانب الذهني، فهو لا يشير إلى الشيء بل يشير إلى الصورة الذهنية أو الفكرة عن الشيء، ويؤكد دي سوسير الوحدة بين مكوني الرمز، ويشبههما بالورقة ذات الوجهين، لا يمكنك تمزيق أحدهما بدون الآخر. وهو يرى أنّ العلاقة بين الدال والمدلول عرفية والرابط الجامع بينهما اعتباطي[21].

2- **ميّز دي سوسير بين اللغة والكلام واللسان:**

فاللغة عنده: هي النظام النظري الذي يضم قواعد اللغة. أما الكلام: فهو بمنزلة التحقق العيني لتلك القواعد، "فالكلام عمل واللغة حدود هذا العمل، والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط، والكلام حركة واللغة مظاهر هذه الحركة، والكلام يحسن بالسمع نطقًا والبصر كتابة واللغة تفهم بالتأمل في الكلام، فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب، واللغة هي الموصوفة في كتب القواعد والمعاجم ونحوها، والكلام قد يكون عملًا فرديًّا، ولكن اللغة لا تكون إلا اجتماعية"[22].

ولغة الجماعة عند دي سوسير: هي عبارة عن الصور الذهنية التي تخزن في العقل الجمعي، وأما ما يصدر من الأفراد فيسمى عنده كلامًا لا لغة[23].

واللسان عند دي سوسير: نتاج للملكة اللغوية، ومجموعة من المواصفات يتبنّاها الكيان الاجتماعي؛ ليمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة، واللسان هو كنظام نحوي يوجد في كل دماغ على نحو أدق في أدمغة مجموعة من الأفراد[24].

والخلاصة كما يرى دي سوسير:

أنّ الكلام لا يمكن دراسته دراسة علمية؛ لأنّه فردي، والفردي يقوم على عنصر الاختيار، وعنصر الاختيار لا يمكن التنبؤ به، وما لا يمكن التنبؤ به لا يمكن دراسته دراسة علمية.

واللغة كذلك لا تدرس بشكل علمي؛ لأنها لا تمثل واقعة اجتماعية خالصة، حيث إنها تخصّ الفرد وتخص الجماعة.

مجلة مقامات
EISSN 2253–0363: / ISSN : ISSN2543-3857

فلم يبق إلا اللسان فهو وحده الذي يمكن دراسته دراسة علمية؛ لأنه موضوع محدد يتصف بالتجانس، ولذا يمكن ملاحظته وتصنيفه، وله بذلك مكان بارز بين الحقائق الإنسانية[25].

3- ميز دي سوسير بين محورين لدراسة اللغة: المحور التزامني والتتابعي[26]:

فأما التزامني: فهو يدرس اللغة على اعتبار أنّها نظام يؤدي وظيفته في لحظة ما دون وجود اعتبارات للزمن.

وأما التتابعي: فهو يدرس اللغة باعتبارها نظامًا يتطور عبر الزمن، ويرصد التغيرات التي تطرأ على اللغة تاريخيًّا.

ويرفض دي سوسير المنظور التتابعي؛ لأنّه يرى أنّ معرفة تاريخ الكلمة لن يفيد في تحديد معناها الحالي، ويلتزم بمفهوم التزامنية، وهي دراسة لغة محددة في لحظة معينة دون النظر في المراحل التاريخية، فيدرس اللغة كما هي ومحاكمتها بقوانينها -لا بقوانين غيره- دون تقعيد لغرض الدراسة نفسها بشكل موضوعي بغية الكشف عن حقيقتها[27].

ويرى أنّ التزامن والتعاقب في اللغة يجب أن يدرسا في علمين منفصلين؛ لأنّ التزامن يرتبط بالنّظام ولكنه عن علاقات الزمن، في حين أنّ التعاقب يرتبط بالزمن، ولكنه مفصول عن علاقات النظام[28].

ويرى أنّ المعنى -وهو القيمة اللغوية- إنما تحدده وتعينه مجموعة العلاقات بين الكلم، ولا يمكن فهمه أو الوصول إليه إلا في ضوء هذه العلاقات، فالعلاقة متبادلة بين الدّال والمدلول تجعل كل واحد يستدعي الآخر[29].

ويرى أنّ هذه الأفكار الثلاثة مترابطة متكاملة، لا انفصام لها، وليس من السهل أن يعزل واحد منها عن الآخر[30].

المطلب الخامس: القواعد العملية المتّبعة في التحليل اللغوي عند الوصفيين

يمكن تلخيص القواعد العملية التي ينبغي أن يتتبعها عالم اللغة الوصفي في التّحليل اللغوي بالأمور الآتية[31]:

1- الاهتمام الخاص بالأصوات والصيغ النّحوية للغة العربية.

2- معرفته بالأسس الفونيمية والمورفيمية التي تسمح بوصفٍ تفصيلي دقيق إلى حدّ كبير، لا يقارن بما يمكن أن يحققه منهج يقوم على الأذن غير المدربة، أو الاستنتاجات العشوائية.

3- أنّ مجال بحث عالم اللغة الوصفي يتمثل في حقل اللغات الحيّة، حيث يمكن تزويد الباحث بأحد أبناء اللغة الذين يتكلمون بها، وهو الذي يعرف فنيًّا باسم الراوي اللغوي (Informant).

4- تبدأ الخطة المزدوجة التي تجمع بين جمع المادة ثم فحصها ومقارنتها على شكل أسئلة صيغت خصيصًا ليمكن عن طريق توجيهها إلى الراوي أن تكشف عن كيفية التعبير عن أشياء معينة في لغته، وعادة ما يتدرج الباحث من الكلمات القصيرة السهلة إلى التعبيرات الأطول والجمل الكاملة.

ومن معايير المنهج الوصفي الأساسية: تحليل أنواع الصيغ والمفردات اللغوية، والكشف عن الأنظمة النّحوية والصرفية للغة الموصوفة، كنظام النّفي والاستفهام والتّجمعات المورفيمية ونظام السوابق واللواحق.

فمن حيث الصيغ يجب على المحلل أن يقوم ببناء أنواع الصيغ للغة التي يحللها، ومن حيث المفردات فإنّ المحلل ينبغي أن يزودنا بقائمة للرصيد العام للمورفيمات في اللغة موضوع البحث -مصحوبة بإمكانيات تجمعاتها- مع تعيين الصيغ النّحوية الكاملة كلما أمكن.

ويبقى التحليل الفونيمي والمورفيمي من أكثر الأعمال صعوبة وأهمية بالنّسبة إلى المحلل اللغويّ، فبموجب التحليل الفونيمي يصل المحلل إلى كشف الأنظمة الصوتية للغة، وعن طريق التحليل المورفيمي يضع المحلل يده على الأنظمة الصرفية، وبذلك يمكنه التوطئة للدخول إلى النّظام التركيبي أو النّحويّ للغة التي يتدارسها.

وفي الوقت الذي تتجمع فيه لدى اللغويّ المادة الكافية، يبدأ عمله التصنيفي والاستنتاجي، وعلى أساس من خبرته العلمية الخاصة في الفونيمات، يقرر أيّ الأصوات المتقابلة أو المتضادة تناسب موقعية معينة وأيها لا تناسب، وحينئذ يجب عليه أن يفصل الفونيمات الحقيقية للغة من الألوفونات، وخلال ذلك الوقت يجب أن تتكون عنده صورة كاملة عن التركيب الفونيمي للغة، وعن الألوفونات التي تكون كل فونيم، مع صورة واضحة عن الظروف المعينة التي بتحقّقها يقع الألوفون المعين.

ومن الأمثلة التطبيقية على التحليل الفونيمي والمورفيمي:

1- حصر الفونيمات عن طريق ما يعرف فنيًّا باسم الثنائيات الصغرى، وذلك بأن يمتحن كل كلمتين تتفقان تمامًا في كل الأصوات ما عدا واحدًا، مثاله في العربية (سلب، سقب) فإذا استلزم التغير الصوتي تغييرًا في المعنى، يعلم حينئذ أنّهما فونيمان مختلفان.

2- إذا كان هناك تقابل أكيد في المعنى أمكن للباحث أن يعدهما مورفيمين منفصلين، ولكن إذا كان المورفيمان يحملان المعنى نفسه ويستعملان في مَوْقِعِيّتين مختلفتين فيجب اعتبارهما مورفيمات لمورفيم واحد، ومثاله في العربية (يكتبون، ويكتبان) كل منهما يحمل معنى خاصًا، فهما إذن مورفيمان منفصلان، فـ(ان) تدل على الإسناد إلى الاثنين، و(ون) تدل على الإسناد إلى الجماعة.

المطلب السادس: الانتقادات الموجهة إلى نظرية دي سوسير

حققت النّظرية نجاحًا ملحوظًا في الأوساط العلمية، وهذا يعود إلى الطابع العقلاني الذي يغلّف هذه النّظرية، والأسس النّظرية المتماسكة التي تنطلق منها لتفسير حقول وظواهر مختلفة، وأحيانًا متناقضة.

وهذا ما يجعلها حقًّا عملًا أصيلًا ورصينًا، ولكننا يجب ألا نغفل أيضًا أنّ هذه النظرية قد أثارت إشكالات عديدة، وواجهت انتقادات مختلفة، بحيث تباينت حولها آراء ومواقف المدارس اللّغوية والنّقدية، ويمكن أن نستخلص أهم هذه الانتقادات(32):

أولًا: جنوحها نحو النزعة التّصورية الشكلانية التي تحيل البنية لمجرد فرض عقلي تصوري، لا يرتبط بالواقع ولا يحاكي متغيراته بشكل حقيقي، بحيث تتسم هذه النزعة التصورية بالشمولية والعمومية، مما يجعل البنى مجرد تصورات فرضية مغلقة على ذاتها.

ثانيًا: تكريسها الطابع الصوري للغة، والذي يجعل من اللغة ذاتها ميدانًا غير حيوي، وغير قادر على الإنتاج والإبداع اللغوي، بفعل الطابع الاعتباطي للعلاقة بين الدال والمدلول.

ثالثًا: فكرة المحايثة، أي محايثة المعنى للدال نفسه، فعلى الرغم من أنّ الدوال أو المعاني والأفكار تأخذ قيمتها من موقع وعمل الدال بين مجمل الدوال الأخرى، فالمعنى في نهاية المطاف هو منتج دلالي، أي: أنّه مباطن أو محايث للدال نفسه وليس خارجه.

رابعًا: اهتمامها بالظواهر اللغوية الملحوظة، وإهمال الجوانب الأخرى التي لا تلاحظ ولا تدرس ببساطة، كعلاقة الدماغ باللغة، وكيفية فهم الجملة، ويبدو أنّ النّظرية وقعت تحت تأثير النّظرية السلوكية في علم النّفس، التي اقتصر البحث فيها على الظواهر المحسوسة التي يمكن ملاحظتها وقياسها(33).

خامسًا: أنّ أقوال دي سوسير عامة غير محددة، مما يكسبها شيئًا من الغموض(34).

سادسًا: استبعاد النشاط الكلامي من دائرة الاهتمام(35).

سابعًا: أنّ المنهج الوصفي لا يشغل نفسه بالبحث عن السر في وجود هذه الظاهرة أو تلك، ولا يعنيه الوقوف على ما وراء هذه الظواهر من أفكار أو معان، أو بنى عميقة، ولا يجري وراء تحديد الصحيح وغير الصحيح من الاستخدام اللغوي(36).

ورغم هذه الاعتراضات والانتقادات، فما زال المنهج الوصفي واقعًا موقع الأفضلية عند جملة كبيرة من المدارس اللغوية الحديثة، ومن أهمها وأشهرها: مدرسة لندن التي أسسها (فيرث)(37).

المبحث الثاني: صلة نظرية دي سوسير بالنّحو العربي

المطلب الأول: مظاهر التوافق بين نظرية دي سوسير اللغوية والتراث اللغوي العربي

يمكن استجلاء أهم هذه المظاهر في ثلاثة أمور:

أولا: اللغة والكلام:

تحدث سيبويه عن موضوع اللغة بمثل ما عرضه دي سوسير، الذي يرى أنّ اللغة تعني مجموعة من الأنظمة، والقوانين، والمعارف المستنبطة من لغة من اللغات. وفي كتاب سيبويه نجد كثيرًا من الإشارات التي تنبئ عن وعيه لأهمية الأنظمة العامة التي يلتزم العربيّ بعدد منها -بحسب قدراته العقلية والنّفسيّة- وليس لها كيان إلا في عقول المتكلمين بها؛ فنجده يقول: "فإنّما أجري هذا على كلام العباد وبه نزل القرآن"[38]، ويقول: "هذا باب منه استكرهه النحويون وهو قبيح، فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب"[39].

والذي يقصده بقوله "ما وضعت العرب" مجموع القوانين التي وضعها العرب، والأنظمة التي تنتظم بموجبها لغة العرب الفصيحة، وهو الكلام العربي الذي توارثه الأبناء عن الآباء والأجداد على مرّ السنين.

ومن إشارات سيبويه إلى تلك السُّنن قوله: "كأنّك قلت: وتبّا لك، فأجريتها على ما أجرتها العرب"[40].

ويقصد بذلك: ما أجرته العرب في كلامها على قوانين لغتهم، وأنظمتها المتوارثة في سنن لغوية متوارثة.

وفي هذه الأمثلة وغيرها أدلة على معرفة سيبويه بأسرار هذا النّظام الذي كانوا يتوارثونه بحسب قدراتهم الفردية العقلية. فكانت القوانين والأنظمة المتوارثة هي (اللغة) التي أرادها دي سوسير، وكان استعمالهم الفرديّ ما عناه دي سوسير بـ(الكلام)[41].

ثانيًا: اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول:

من أشهر أفكار دي سوسير اللغوية اعتقاده باعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول، وقد تجلت هذه الفكرة لدى ابن جنّي (كمثال من التراث اللغويّ العربيّ).

ومن أهم مظاهرها[42]:

1- الاعتباط أحد الأسس في اختيار الأصول الثلاثية في اللغة العربية:

من ذلك قول ابن جنّي: "اعلم أنّ واضع اللغة، لما أراد صوغها، وترتيب أحوالها، هجم بفكره على جميعها، ورأى بعين تصوره وجوه جملها وتفاصيلها، وعلم أنّه لا بدّ من رفض ما شنُع تأليفه منها، نحو (هع) و(قج)، فنفاه عن نفسه، ولم يمرره بشيء من لفظه، وعلم أنّ ما طال وأملّ بكثرة حروفه، لا يمكن فيه من التصرف ما أمكن في أعدل الأصول وأخفها، وهو الثلاثي..."[43].

2- الاعتباط أساس التصادفات الو اقعة في اللغة:

درس ابن جنّي ظاهرة التصادفات في اللغة، أو ما سمّاه بـ(تلاقي اللغة)، ويرى أنّ هذه الظاهرة قائمة على الاعتباط، ويستشهد له باسمي العلم (سلمان، وسلمى). يقول: ألا ترى أنّ (فعلان) الذي يقاوده (فعلى) إنّما بابه الصفة، كغضبان وغضبى، وليس سلمان وسلمى بصفتين ولا نكرتين، وإنما (سلمان) من سلمى كـ(قحطان) من ليلى، غير أنّهما كانا من لفظ واحد، فتلاقيا في غرض اللغة من غير قصد لجمعهما، ولا إيثار لتقاودهما[44].

ومما سبق يتأكد لنا أنّ ابن جنّي ذهب إلى أنّ العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية، كما ذهب إلى ذلك دي سوسير فيما بعد.

ثالثًا: الوصفية بين التراث النّحويّ واللسانيات البنيوية

عرف اللغويون العرب المنهج الوصفي، ويمكن إيجاز أهم مظاهر المنهج الوصفي من أمرين:

أحدهما: منهج جمع اللغة والتقعيد النّحوي:

اعتمد العمل النّحويّ على منهج خاص في جمع اللغة كان اتّصالًا مباشرًا بالاستعمال اللغويّ، وكتب التراجم تذكر رحلة النّحاة الأئمة إلى البادية لجمع اللغة، وتبرز حرصهم على معرفة الصورة الواقعية للكلام كما ينطقه البداة، وتبرز في كتب ابن جني ظاهرة جمع المادة من الاتصال المباشر بالمصدر البشري(45).

"والاتصال المباشر بالواقع اللغوي أصل من أصول النحو الوصفي، وقد كان أيضًا أصلًا من أصول النّحو العربي، وقد أدى هذا الاتصال إلى أن يكون في النحو العربي اتجاه وصفيّ في تناول كثير من ظواهر اللغة"(46).

ولقد كان أول عمل لغويّ -على يد أبي الأسود الدؤلي- عملًا وصفيًّا خالصًا، ونجد في كتاب سيبويه كثيرًا من الطريقة الوصفية في رصد الظواهر اللغوية (صرفًا، ونحوًا). وكان للعرب منهج في جمع المادة العلمية، حيث حدّدوا إطارين عند جمعهم للغة: مكانيّ وزماني، وهذا العمل يقترب كثيرًا من المنهج الوصفي الحديث في جمع المادة العلمية.

والثاني: ما قرره النّحاة العرب من الأحكام النّحوية

إنّ الاتجاه الوصفي في النحو العربي يظهر كثيرًا فيما يقرره النحاة الأوائل من أحكام، فما قرروه لم يكن كله تأويلًا، أو تقديرًا، أو تعليلًا، وإنما كان فيه ما هو وصف تقريري محض.

ولقد كان النّحاة الأوائل يتناولون الظواهر اللغوية على أساس شكلي، وهو مبدأ من مبادئ النّحو الوصفي(47)، ويمكن القول بأن المنهج الكوفي كان أقرب إلى المنهج الوصفي، باعتبار أنّ نظرتهم إلى النصوص كانت نظرة وصفية، لا تميل إلى النّظرة العقلية أو الفلسفية(48).

وبالرجوع إلى كتاب سيبويه نلحظ عدة أمور(49):

1- أنّه يقرر مباشرة أنّ الأحكام إنما تجري على كلام العرب، وفي كتابه تكررت عبارات مثل: "فأجره كما أجروه، وضع كل شيء موضعه"، أو "فأجره كما أجرته العرب واستحسنته"(50).

2- أنّه لا يوغل وراء تفسير الظواهر إذا لم تكن لديه مادة تسند رأيه، بل يميل فيها إلى الاستعمال مقررًا استحالة الاستقراء التام للكلام، كما في قوله: "فإن كان عربيًّا نعرفه ولا نعرف الذي اشتق منه، فإنما ذاك لأنا جهلنا ما علم غيرنا"(51).

3- أنّ تحري الاستعمال اللغوي أدّى به إلى عدم إغفال اللهجات باعتبارها عناصر في اللغة الموحدة[52].

4- أنّ فكرة القياس على كثرة ما قيل فيها كانت عند سيبويه متابعة للكلام العربي[53]، كما في قوله: "لأنّ هذا أكثر في كلامهم وهو القياس"[54].

المطلب الثاني : المنهج النّحوي العربي بين الوصفية والاستقلالية

إنّ اللغويين العرب القدماء كانوا ينهجون منهجًا هدتهم فطرتهم وذكاؤهم إليه، وشاء عدد من المحدثين أن يطلق على نهجهم هذا مصطلح (الوصفية)، مشبهين المنهج العربي القديم -لعظمته- بالمنهج الوصفي الذي تبنّته المدارس التي سارت على منهج دي سوسير. وهذا أمرٌ فيه نظر؛ لأنّ صفة الوصفية التي لاحظها المحدثون في منهج علمائنا القدماء، لم يقتبسها علماء العربية القدماء من الغرب أو من غيرهم، بل ابتكروها بأنفسهم، وهذا ما نعتزّ ونفتخر به.

ولست ممن يذهب إلى الجزم بالأثر والتأثير، فأطلق على منهج النحاة العرب بأنّه منهج وصفيّ، ولا أذهب جازمًا إلى أنّ علماء اللسانيات المعاصرة أخذوا من النّحو العربي أفكارهم وموضوعاتهم، ومناهجهم؛ لأنّ ذلك صعب التحقيق، والراجح هو وجود مقاربات بينهما، أو توارد خواطر.

وإذا كان ثمة مشابهة بين منهج علمائنا القدماء، والمنهج الوصفي الحديث، فينبغي أن يحمل على أمرين[55]:

الأول: أنهم لم يطلعوا على المنهج العربي، وكان لهم ابتكار ما صنعوا، فلعلمائنا فضل السبق في إيجاد منهجهم، بخلاف ما أوهم به عدد من الباحثين من اطلاعهم على الدراسات اليونانية، والدراسات الهندية؛ لأنّ علماء العربية أوجدوا منهجهم قبل زمن الترجمة إلى العربية.

والثاني: أن يكون علماء الغرب قد اطلعوا على المنهج العربي، فاتّبعوه وطوّروا بعض جوانبه. وفي ضوء ذلك لابدّ من تأكيد فضل العرب على الأمم الأخرى، في تعليمها المنهجية في البحث، وليس كما ذهب المحدثون إلى أنّها من ابتكارات هذا العصر.

والمتتبع لملامح المنهج العربي من خلال ما تركه لنا علماؤنا من آثار، يجد أنّ المنهج العربيّ يتّسم بخصائص كثيرة:

أولها: الوصفية؛ لكونه يلتزم بمراحل جمع المادة في مدة زمنية محددة، وفي أماكن معيّنة، ثم ينتقل إلى مرحلة استقراء تلك المادة بحسب مكوناتها، ثم تصنيفها وتوزيعها، ثم وضع الأحكام والقواعد.

ثانيها: انتقاله من الكليات إلى الجزئيات، والعكس.

ثالثها: اقترابه من المنهج التوليدي التحويلي؛ إذ اهتمّ المنهج العربي بالبنى السطحية للتراكيب، وبالبنى العميقة، وإن لم يسمّها العلماء القدماء بهذه المصطلحات[56].

مجلة مقامات
EISSN 2253-0363: / ISSN : ISSN2543-3857

رابعها: أنّه منهج تكاملي يعضد فيه التغيّر الصرفيّ أو الصوتي المعنى النحويّ، وتُسخر المعطيات النّحوية، والصرفية، والصوتية، للحصيلة الدلالية.

خامسها: أنّه منهج يفرق بين الأصول والفروع التي يستنبطها من الاستعمال والتذكير، والإفراد والتثنية والجمع وغيرها.

سادسها: أنّه منهج عُني بالمعايير اللغوية المستقاة من الكثرة، والقلة، والندرة في الاستعمال، فكان (معياريًّا) بحسب المصطلح الحديث.

فالقول بأنّ المنهج المتبع في دراسة اللغة العربية منهجٌ وصفيّ لا نقرّه؛ لأنّ المنهج العربي وإن كانت التقريرية غالبة عليه، فهو يتّسم بالمعيارية وغيرها من السمات والخصائص التي أشرت إليها، والتي يرفضها الوصفيون المعاصرون.

وخلاصة القول في منهج النحو العربي أنّه نسيج وحده، اقتضته طبيعة اللغة العربية، فكان عربيًّا خالصًا، لم يتأثر بغيره، ولم يحذ حذو غيره.

المطلب الثالث: أثر تطبيق المنهج الوصفي على الدرس النّحويّ العربي

- الأثر السلبي: انتقادات موجهة إلى النّحو العربي من خلال المنهج الوصفي[57]:

وتتركز هذه الانتقادات فيما يأتي:

1- أنّه تأثر منذ نشأته بالمنطق الأرسطي، فأصبح "صوريًّا" وليس "واقعيًّا"، فاهتم بالتقدير والتأويل، دون الاستعمال اللغوي.

2- أنّه قعَّد لعربية مخصوصة تتمثل في مستوى معين من الكلام (شعر، أو أمثال، أو نص قرآني)، فابتعد بذلك عن الاستعمال الشائع.

3- أنّه حدّد بيئة مكانية وزمانية لهذه اللغة، فلم يقعّد إلا لبوادي نجد والحجاز وتهامة، حتى آخر العصر الأموي[58].

4- أنّ النّحو العربي لم يميز حدودًا واضحة لمستويات التحليل اللغوي، فاختلطت فيه الظواهر الصوتية مع الصرفية مع النّحوية.

وهذه المآخذ لا تؤثر في تقويم المنهج العربي، لأنّها منطلقة من مقدّمة غير صحيحة وهي افتراض أنّه منهج وصفيّ، ومع ذلك فيمكن الجواب عن هذه الانتقادات بما يأتي[59]:

الأول: أنّ المنطق الأرسطي لم يكن معروفًا معرفة كافية أيام الخليل وسيبويه، وهما صاحبا التأثير الحقيقي في النحو العربي. ومن غير المنطقي أن يتأثر النحو بمنهج أرسطو في المنطق؛ لاختلاف الغاية في كل منهما، لذا نجد الجملة التي هي معقد الدرس النحوي مختلفة اختلافًا تامًّا عنها عند أرسطو.

والثاني: أنّ النحو العربي نشأ لفهم النّص القرآني الكريم، ومن ثم كان توجّه النحاة إلى النّصوص الأدبية العالية -والشعرية منها بخاصة- لاستخلاص القوانين التي تدور علها العربية التي نزل بها القرآن الكريم. ومع ذلك فإنّ النحاة العرب لم يأخذوا كل قواعدهم من النصوص العالية، بل اتصلوا بالحياة اللغوية بمعناها الواسع(60).

والثالث: أنّ الاقتصار على زمن ومكان معين لدراسة اللغة، صادر عن الغاية من نشأة الدراسة النّحوية، وهي فهم النّص القرآني الكريم، لذا كان البحث عن "نقاء" اللغة و"فصاحتها"، غاية من غاياتهم في الجمع اللغويّ(61).

والرابع: أنّ اختلاط مستويات الدرس ظاهرة واضحة في النّحو العربي في المراحل الباكرة، لكن ذلك لا يعني اختلاط منهج المستويات ومصطلحاتها.

- الأثر الإيجابي: تيسير النحو العربي من خلال المنهج الوصفي:

شُغل الدارسون المعاصرون كثيرًا بقضية تيسير تعلّم النّحو العربي، وذلك من خلال التجديد في دراسة بعض مسائله(62)، وأرى أنّه من الممكن أن يجعل من المنهج الوصفي مسلكًا من مسالك التيسير، وسأذكر نماذج على ذلك:

1- ذهب جمع من النحاة إلى أنّ الفعل الماضي مبنيّ على الفتح، نحو: ضربَ، إلا إذا اتّصل بواو الجماعة فعلى الضم، نحو: ضربوا، أو بضمير رفع متحرك فعلى السكون، نحو: ضربْت، فهذا القول يصف بنية الكلمة كما هي، فهو أيسر من القول الآخر القائل بأنّ الماضي مبنيّ على الفتح أبدًا، لأنّه يحتاج إلى تقدير الفتح إذا اتّصل بواو الجماعة، وتسكين المتحرك إذا اتصل بضمير رفع متحرك.

2- ذهب الكوفيون إلى القول بجواز الوصف بالمصدر بتأويله إلى مشتق، نحو: هذا رجل عدل، أي: عادل، وذهب البصريون إلى القول بجواز الوصف بالمصدر بتقدير مضاف محذوف، أي: ذو عدل، وذهب ابن يعيش إلى القول بجواز الوصف بالمصدر من دون حذف ومن دون تأويل، وهو أيسر الأقوال.

3- اختلف النّحاة في كثير من الكلمات من حيث التركيب وعدمه، نحو: مهما، وإذما، وكأنّ، ولعلّ، والقول بعدم التركيب فيها أيسر.

4- ذهب البصريون إلى أنّ الفعل المضارع بعد لام التعليل منصوب بأن مضمرة، وذهب الكوفيون إلى أنّه منصوب باللام، وهذا القول أيسر.

5- اختلف النحاة في إعراب الأسماء الستة على أقوال كثيرة، أبعدها عن التكلف هو القول بأنها معربة بالحروف: الواو، والألف، والياء.

ولا ريب أن القول الأيسر في هذه المسائل كلها يصف بنية الكلمة كما هي دون حذف أو تأويل.

المطلب الرابع: الدراسات اللغوية الوصفية العربية الحديثة

أدرك الباحثون الذين اتّصلوا بطرق البحث اللغوي في أوروبا وأمريكا ضرورة الربط بين التراث العربي العظيم ونظريات البحث الحديث، وهؤلاء الباحثون الروّاد يشكلون بأعمالهم العلمية القيّمة حلقة الوصل بين التراث والمعاصرة.

ومن الأمثلة على الدراسات اللغوية الوصفية العربية الحديثة ما يأتي[63]:

أولًا: دراسة علي عبدالواحد وافي:

كانت البداية الحقيقية للكتابات في علم اللغة الوصفي على يديه، حينما كتب (علم اللغة)، و(فقه اللغة)، وكانت دراسته في هذين الكتابين تعتمد على:

- الملاحظة والتجريب.
- التفريق بين اللغات الحيّة والميّتة.
- تقسيم الظواهر اللغوية إلى مستويات: صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية.
- أن البنية اللغوية تتألف من عناصر ذات وجود متميّز لكن بينها علاقات عضوية.
- ضرورة التفرقة بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة.

ثانيًا: دراسة دكتور إبراهيم أنيس:

لإبراهيم أنيس كتابات متعددة في المستويات اللغوية المختلفة، فله كتاب (الأصوات اللغوية)، يدرس فيه الأصوات العربية دراسة صوتية تحليلية وصفية، ويفرق بين الوصفية والدراسات التاريخية، وله كتاب (اللهجات العربية) يعرض فيه خصائص اللهجات العربية قبل وبعد الإسلام، ويدرسها دراسة وصفية تحليلية.

ثالثًا: دراسة عبدالرحمن أيوب:

قدم أيوب كتابًا قيّمًا في نقد التراث النّحويّ القائم على أسس معيارية، متأثرًا بالدراسات اليونانية في مسائل التقسيم الأرسطي للكلمة، ومسائل التعليل. والكتاب يقدّم لنا منهجًا دقيقًا في الوصفية، ويوصي باتباعها، وترك الدراسة اللغوية القديمة؛ لأنّها أدت إلى تعقيد الدراسات النحوية والصرفية[64].

ويمكن تلخيص تأثير المنهج اللغوي الوصفي في الدراسات النّحوية لعلماء العرب في الاتجاهات الآتية[65]:

الأول: قصر الدراسة النّحوية على الجملة العربية: وصف أجزائها ونظامها، والرائد في هذا الاتجاه إبراهيم أنيس، في كتابه (أسرار اللغة).

الثاني: درس النحو العربي بالمنهج الوصفي، وارتبطت تلك الدراسات بالنّقد للنّحاة العرب، ومنهجهم، ويمثّل هذا الاتجاه عبدالرحمن أيوب، في كتابه (دراسات نقدية في النّحو العربي).

الثالث: أفاد من المنهج الوصفي في تصفية النحو العربي مما شابه من مسائل خلافية لا خير فيها - في رأيهم- وتطبيق ما يراه اللغويون الوصفيّون والمحدثون في هذا الشأن، كل ذلك من غير إحداث صدام أو صراع بين التراث النّحوي، وما يرونه من أوجه التجديد والتحديث في الدرس النّحوي الحديث، ويمثّل هذا الاتجاه محمد عيد في كتابه (النّحو المصفّى).

المطلب الخامس: الدعوة لإعادة وصف اللغة العربية

ذهب كثير من المستشرقين واللغويين المعاصرين إلى الدعوة إلى إعادة وصف اللغة العربية من جديد[(66)]، وهذه الدعوة تحمل في طيّاتها اتجاهين في البحث:

الأول: يساير مقولات المنهج الوصفي الحديث، الذي يذهب إلى ضرورة أن تكون اللغة الموصوفة لغة حيّة منطوقة، وليست نصوصًا موروثة مدوّنة في عصور سابقة لعصر الوصف.

ولما كانت اللغة العربية الفصيحة، ليست منطوقة في الحياة اليومية، ولا تستعمل إلا في الشعر الفصيح، أو الخطب الدينية، والسياسية -بحسب زعمهم- فهي غير جديرة بالوصف، لذا تتجه أنظار الباحثين من أنصار هذا الاتجاه إلى ضرورة حصر الوصف في اللهجات العامية المنطوقة، وهي لغة التداول اليومي عند العرب جميعًا، الأمر الذي يقتضي مسايرة التطورات اللغوية في تلك اللهجات.

الثاني: إعادة وصف العربية القديمة، بما حفظته المدونات من قرآن كريم، وأحاديث نبوية، وخطب، وأمثال، وشعر، بمراعاة التطورات الحديثة في وسائل الوصف وطرائقه.

والاتجاهان مردودان:

فالأول: غفل عن أنّ اللغة العربية لغة حيّة؛ بدليل أنّ نشرات الأخبار تقرأ لكل العرب بلغة عربية فصيحة، وتفهم بلا معين. ثم إنّ متابعة هذه التطورات يربك مناهج البحث اللغوي المعاصر، وينتج تسارعًا في ظهور النّظريات اللغوية، وتغيّرًا في مناهج البحث اللغوي، وهذا ما نشهده في المجتمعات الغربية.

فهذه الدعوة في ظاهرها تعرض منهجًا سليمًا، غير أنها تتجاهل خصوصية اللغة العربية في كونها لغة القرآن الكريم، والحديث النبوي، الأمر الذي يجعلنا نفكر مليًّا في عظم خسارتنا بفقدانها.

والثاني: يتضمن دعوة لا تقبل؛ لأنّ فيه ادعاء بالقدرة على الإتيان بما هو أفضل من الوصف العربي القديم، سواء باتباع منهجهم، أم بتغييره.

وفي قناعتي أنّ المنهج العربي هو منهج سليم، يواكب كل العصور، يتميز بالدقة والشمولية والعالميّة.. وقد اعترف بهذه الخصائص علماء غربيون منصفون، أمثال عالم اللسانيات الأمريكي نعوم تشومسكي[(67)].

النتائج:

توصل البحث إلى عدة نتائج على النحو الآتي:

1- نظرية النحو الوصفي نظرية تتناسب كثيرًا مع طبيعة الدرس اللغوي الغربيّ، ولكن لا نستطيع أن نطبق قواعدها التحليلية تطبيقًا كاملًا في درسنا النحويّ العربي.

2- القول بأنّ المنهج المتبع في دراسة اللغة العربية منهجٌ وصفيّ لا نقرّه؛ لأنّ المنهج العربي وإن كانت التقريرية غالبة عليه، فهو يتّسم بالمعيارية وغيرها من السمات والخصائص.

3- أهم تغييرات نظرية دي سوسير يتمثل في رؤيته لها من خلال الثنائيات التي صنّفها: اللغة والكلام، والدال والمدلول، والآنيّة والزمانية، واللسان والكلام. وهي ثنائيات لا تنظر إلى قيمة اللغة في ضوء الموروث العربي، بل في ضوء الجهل اللساني الأوروبي قبل دي سوسير.

4- ما زال المنهج الوصفي واقعًا موقع الأفضلية عند جملة كبيرة من المدارس اللغوية الحديثة، ومن أشهرها تمسكًا به: مدرسة لندن التي أسسها ووضع قوائمها (فيرث).

5- وجود مظاهر لغوية مشتركة بين المنهج اللغوي الوصفي والمنهج اللغوي العربي لا يحسم قضية التأثر والتأثير، والراجح هو وجود مقاربات بينهما، أو توارد خواطر.

6- مرد المشابهة بين منهج علمائنا القدماء، والمنهج الوصفي الحديث، يؤكد فضل العرب على الأمم الأخرى.

7- الدعوةَ إلى توجيه الدراسة اللغوية العربية إلى دراسة وصفية للهجات العامية الحيّة بدلًا من دراسة اللغة الموروثة الميّتة، دعوةٌ تنافي خصوصية اللغة العربية في كونها لغة القرآن الكريم، والحديث النبوي.

8- الدعوة إلى رفض المناهج اللغوية الحديثة بالكامل دعوة غير صحيحة، بل هي دعوة ضارة بالعربية نفسها، ومن الضروري أن نفيد من التطوير اللغوي ونشارك فيه.

الهوامش والمراجع:

(1) ينظر: علم اللغة وفقه العربية، عيد محمد الطيب (50)، ودراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، صلاح الدين صالح حسنين (99)، ومنهج البحث اللغويّ بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين (10).

(2) عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث (29)، عبدالله جاد الكريم، الدرس النّحوي في القرن العشرين (214).

(3) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية (24).

(4) كمال بشر، دراسات لغوية (56).

(5) دي سوسير، فصول في علم اللغة العام (159).

(6) عبدالله جاد الكريم، التكامل المعرفي بين النحو العربي واللسانيات الغربية (40).

(7) النحو العربي والدرس الحديث (29)

(8) ينظر: الدرس النحوي في القرن العشرين (218)، ومصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات (156)، والنحو العربي والدرس الحديث (27).

(9) دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام (23، 28).

(10) ينظر: روبرت شولز، البنيوية (27)، والتكامل المعرفي (38)، واللسانيات البنيوية (156)، ومزهر حسن الكعبي، البنيوية والتحليل البنيوي في النص الأدبي، جريدة الجريدة، موقع على الإنترنت.

(11) دي سوسير، علم اللغة العام (122)، وفصول في علم اللغة العام (121).

(12) روبرت شولز، البنيوية (27).

(13) فصول في علم اللغة العام (195).

(14) ينظر: علم اللغة العام (131)، وروبرت شولز، البنيوية (30).

(15) فصول في علم اللغة العام (31).

(16) ينظر: يوري لوتمان، تحليل النص الشعري، ترجمة: محمد فتوح، دار المعارف (7).

(17) فصول في علم اللغة العام (143)، ومحاضرات في علم اللسان العام (127-128).

(18) ينظر: س. رافيدان، البنيوية والتفكيك تطورات النقد الأدبي، ترجمة خالدة أحمد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

(19) ينظر: نبيلة إبراهيم، نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، مكتبة غريب (22).

(20) محاضرات في علم اللسان العام (85).

(21) ينظر: محاضرات في علم اللسان العام (87)، صلاح فضل، البنائية (39)، والتكامل المعرفي (40).

(22) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة (32).

(23) عبدالعزيز أحمد علام، في علم اللغة العام (312).

(24) عبدالعزيز حمودة، المرايا المقعّرة، عالم المعرفة، الكويت (207).

(25) ينظر: عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر (29)، والتكامل المعرفي (41).

(26) محاضرات في علم اللسان العام (127-128).

(27) ينظر: رشيد العبيدي، البحث اللغوي وصلته بالبنيوية في اللسانيات، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، عدد (12)، 1985 (ص:55).

(28) ينظر: جان بياجيه، البنيوية (62-65).

(29) ينظر: ناصر النعيمي، المدرسة البنيوية قراءة في المبادئ والأعلام، مجلة علوم إنسانية، عدد (28) 2008 (ص:4).

(30) دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرمادي، ومحمد الشاوش، الدار العربية للكتاب، ليبيا (29).

(31) ينظر: باي ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، منشورات ليبيا (119-121)، وعلي زوين، منهج البحث اللغويّ (11).

(32) تنظر الانتقادات الثلاثة الأُول في: البنيوية اللغوية عند دي سوسير، أحمد عقلة العنزي، مجلة عالم الفكر، العدد (2) (ص:61).

(33) شحدة فارع، وموسى عمايرة، وجهاد حمدان، ومحمد العناني، مقدمة في اللغويات المعاصرة (40).

(34) سمير استيته، اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج (165).

(35) اللسانيات البنيوية (163).

(36) كمال بشر، التفكير اللغويّ بين القديم والجديد (225).

(37) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد (227).

(38) سيبويه، الكتاب (208/2).

(39) الكتاب (227/2).

(40) الكتاب (358/2).

(41) ينظر: كريم الخالدي، هُويّتنا العربية في اللسانيات ومناهجها (244).

(42) ينظر: التكامل المعرفي (78)، ومحمد وليد حافظ، قراءة في فكر ابن جنّي من خلال (الخصائص) على ضوء علم اللغة الحديث، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد (25 و26).

(43) ابن جني، الخصائص (64/1-65).

(44) الخصائص (بتصرف) (52/1).

(45) الخصائص (242/1).

(46) النحو العربي والدرس الحديث (55).

(47) الدرس النحوي في القرن العشرين (229).

(48) النحو العربي والدرس الحديث (58)، والدرس النحوي في القرن العشرين (230).

(49) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث (55).

(50) الكتاب (275/1، 277).

(51) الكتاب (268/1).

(52) الكتاب (402/1).

(53) الكتاب (283/1).

(54) الكتاب (258/1).

(55) هُويتنا العربية في اللسانيات ومناهجها (286).

(56) ينظر: صلاح بوجليع، نظرية تشومسكي اللغوية حقيقتها وصلتها بالنّحو العربي، دار إيلاف الدولية بالكويت. وصلاح بوجليع، البنية العميقة للجملة وأثرها في إعراب القرآن، المجلة العلمية، جامعة المنيا، كلية دار العلوم (العدد: 48، 2023).

(57) ينظر: هويتنا العربية في اللسانيات ومناهجها (285)، والنحو العربي والدرس الحديث (48)، والدرس النحوي في القرن العشرين (227).

[58] السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجدله (162).

[59] هويتنا العربية في اللسانيات ومناهجها (285)، والنحو العربي والدرس الحديث (48).

[60] الاقتراح في أصول النحو وجدله (162).

[61] الخصائص (5/2).

[62] ينظر: ياسين أبو الهيجاء، مظاهر التجديد النّحوي لدى مجمع اللغة العربية في القاهرة، ومحمد حسين الصغير، نحو التجديد في دراسات الدكتور الجواري، وأحمد بن جار الله الزهراني، اتجاهات تجديد النحو عند المحدثين.

[63] صلاح الدين بكر، الوصفية في الدراسات العربية، مقال في موقع (صوت العربية) 2003، والدرس النّحوي في القرن العشرين (234)، ومصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة (175).

[64] ينظر: عبدالرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي (7-9).

([65] ينظر: الدرس النّحوي في القرن العشرين (234).

[66] ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، ووليد أحمد العناتي (أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات)، وهُويتنا العربية في اللسانيات ومناهجها (294).

[67] أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات (29).

المراجع

1) ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط: الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
2) أحمد بن جار الله الزهراني، اتجاهات تجديد النحو عند المحدثين، مكتبة الرشد، ط: الأولى، 1428هـ.
3) السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجدله، تحقيق: محمود فجال، النادي الأدبي بأبها، ط: الأولى، 1409هـ.
4) باي ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، منشورات ليبيا.
5) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة.
6) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، 1427هـ.
7) جان بياجيه، البنيوية، ترجمة عارف منيملة وبشير أوبري، منشورات عويدات، ط: الرابعة، 1985م.
8) حافظ إسماعيلي علوي، ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، دار الأمان، الرباط، 2009م.
9) حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل، ط: الأولى، 2006م.
10) دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تعريب صالح القرمادي، ومحمد الشاوش، الدار العربية للكتاب، ليبيا.
11) دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة يونيل يوسف، دار آفاق عربية، 1985م.
12) دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد الكراعين، دار المعرفة الجامعية، 1985م.
13) دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبدالقادر قنيني، أفريقيا الشرق.
14) رشيد العبيدي، البحث اللغوي وصلته بالبنيوية في اللسانيات، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، عدد (12)، 1985م.
15) روبرت شولز، البنيوية، اتحاد الكتاب العام، دمشق، ط: السادسة، 1977م.

مجلة مقامات
EISSN 2253-0363: / ISSN : ISSN2543-3857

16) س. رافيدان، البنيوية والتفكيك تطورات النقد الأدبي، ترجمة خالدة أحمد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
17) سمير استيته، اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، ط: الأولى، 2005م.
18) سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، 1408هـ.
19) شحدة فارع، وموسى عمايرة، وجهاد حمدان، ومحمد العناني، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل، ط: الثالثة، 2006م.
20) صلاح الدين بكر، الوصفية في الدراسات العربية، مقال في موقع (صوت العربية) 2003م.
21) صلاح الدين صالح حسنين، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، دار العلوم للطباعة، الرياض، 1405هـ.
22) صلاح بوجليع، البنية العميقة للجملة وأثرها في إعراب القرآن، المجلة العلمية، جامعة المنيا، كلية دار العلوم، (العدد: 48، 2023م).
23) صلاح بوجليع، نظرية تشومسكي اللغوية حقيقتها وصلتها بالنّحو العربي، دار إيلاف الدولية بالكويت، 1439هـ
24) عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر.
25) عبدالرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1957م.
26) عبدالعزيز أحمد علام، في علم اللغة العام، كنوز المعرفة، ط: الأولى، 1425هـ.
27) عبدالعزيز حمودة، المرايا المقعّرة، عالم المعرفة، الكويت.
28) عبدالله جاد الكريم، التكامل المعرفي بين النحو العربي واللسانيات الغربية، دار النابغة، ط: الأولى، 1442هـ
29) عبدالله جاد الكريم، الدرس النّحوي في القرن العشرين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط: الأولى، 1425هـ.
30) عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ط: الأولى، 1406هـ
31) علي زوين، منهج البحث اللغويّ بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ط: الأولى، 1986م.
32) عيد محمد الطيب، علم اللغة وفقه العربية، دار البشري، القاهرة، ط: الثانية: 1417هـ.
33) كريم الخالدي، هُويّتنا العربية في اللسانيات ومناهجها، دار دجلة، الأردن، ط: الأولى، 2019م.
34) كمال بشر، التفكير اللغويّ بين القديم والجديد، دار غريب، مصر، ط: الأولى، 2005م.
35) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، ط: الثانية، القاهرة، 1971م.
36) محمد حسين الصغير، نحو التجديد في دراسات الدكتور الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1410هـ.
37) محمد وليد حافظ، قراءة في فكر ابن جنّي من خلال (الخصائص) على ضوء علم اللغة الحديث، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد (25 و26).
38) مزهر حسن الكعبي، البنيوية والتحليل البنيوي في النص الأدبي، جريدة الجريدة، موقع على الإنترنت.
39) مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط: الأولى، 2013م.
40) مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

41) ناصر النعيمي، المدرسة البنيوية قراءة في المبادئ والأعلام، مجلة علوم إنسانية، عدد (28) 2008م.

42) نبيلة إبراهيم، نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، مكتبة غريب.

43) ياسين أبو الهيجاء، مظاهر التجديد النّحوي لدى مجمع اللغة العربية في القاهرة، عالم الكتب الحديث، ط: الأولى، 1429هـ.

44) يوري لوتمان، تحليل النص الشعري، ترجمة: محمد فتوح، دار المعارف.